ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Waist Journal for Human Sciences

Journal Homepage: https://wjfh.uowasit.edu.iq/index.php/wjfh/en

Research article

Exaggeration in the Statistics of Epidemics, Famines, and Their Horrors during the Mamluk Era

Asst. Lect. Ahmed Salman Tarish[1], Prof. Dr. Fadhil Jabir Dhahi[2]

University of Wasit, College of Education for Human Sciences, Department of History, Iraq

ARTICLE INFO

Keywords: Mamluk, Era, Exaggeration, Epidemics, Famines

***Correspondence author*:**

std2024208.ahmed.s@uowasit.edu.iq

Fjabir@uowasit.edu.iq

Received: **09 June** 2026

Revised: 02 **August** 2026

Accepted: 03 **August** 2026

Published: 01 **November** 2026

1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/).

***Cite*:**

Tarish, A. S., & Al-Dreisawi, F. J. D. (2026). Exaggeration of Epidemic and Famine Statistics and Their Horrors in the Mamluk Era. Wasit Journal for Human Sciences, 22(4/Pt1). https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss4/Pt1.2164

ABSTRACT

This research refutes the exaggeration and hyperbole in health and social historical narratives, focusing on the Mamluk period (648–923 AH / 1250–1517 AD) in Egypt and the Levant. During this era, some contemporary chroniclers inflated numbers of epidemic deaths and famines, negatively affecting historical documentation, reflecting personal biases, and fueling collective panic. The study utilizes the critical rules established by historian Ibn Khaldun (d. 808 AH) in his Muqaddimah to scrutinize the imaginary figures in previous accounts, applying them to Mamluk-era plague fatalities and food shortages. It concludes that exaggerating epidemic and famine figures was not merely a literary device to describe disasters, but a methodological tool resulting from the absence of statistical investigation instruments or driven by political stances toward the ruling authority.

التهويل في أرقام الأوبئة والمجاعات واهوالها في العصر المملوكي

الباحث أحمد سلمان طارش[1]، أ.د فاضل جابر ضاحي[2]
جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ

المُستخلص

يسعى هذا البحث إلى تفنيد ظاهرة التهويل والمبالغة في الروايات التاريخية ذات الطابع الصحي والاجتماعي مع التركيز على الفترة المملوكية (648 – 923 هـ / 1250 – 1517 م) في مصر والشام حيث عمد بعض مؤرخي العصر إلى تضخيم الأرقام واعداد وفيات الأوبئة والمجاعات مما انعكس سلباً على دقة التوثيق التاريخي وعكس التوجهات الشخصية وبواعث الرعب الجماعي ويعتمد البحث على القواعد النقدية التي أصلها المؤرخ ابن خلدون (ت 808 هـ) في مقدمته لتمحيص الاعداد الخيالية المذكورة في المرويات السابقة وتطبيقها على مرويات وفيات الطواعين ونقص الاقوات في العصر المملوكي ، لخصت الدراسة إلى أن المبالغة في أرقام الأوبئة والمجاعات لم تكن مجرد توجيه أدبي لوصف الكارثة بل أداة منهجية خضعت لغياب أدوات التقصي الاحصائي أو المواقف السياسية من السلطة الحاكمة.

الكلمات المفتاحية: المملوكي، العصر، التهويل، الأوبئة، المجاعات.

المقدمة

تعتبر المجاعات والاوبئة من ابرز العوامل التي أدت الى ضعف الرعية وتأخره في العصر المملوكي ، نظراً لما ألحقته ببنيته من أضرار فاصلة (اقتصادية ،واجتماعية ، وديمغرافية) حصدت الفظائع خلالها ارواحا لا تحصى كادت أن تغير مجرى التاريخ في مصر والشام إذ عرفت الدولة المملوكية طيلة فتراتها التاريخية تقلبات مناخية ومواسم جفاف قاسية كنقص فيضان النيل نجم عنها قحط شديد تزامنا مع الصراعات والنزاعات السياسية التي ساهمت في انتشار المحن الاجتماعية، ولم يقف أثر هذه النكبات عند اختلال دقة رصد وفيات الطواعين ونقص الاقوات، بل امتد لينعكس على الحالة النفسية والسلوكية العامة فضلا عن وضع الأمراء والسلاطين المماليك أمام تحديات مصيرية لابتكار الحلول، لقد عاش الافراد في ظل هذه الكوارث أوضاعا اقتصادية مزرية تمثلت في التحولات الكبرى كالهجرة السكانية وتفشي الأمراض الفتاكة، مما جعل من هذه الدراسة ظاهرة التهويل الرقمي وأهوالها مادة خصبة لفهم حقيقة تلك الحقبة التاريخية الحرجة وتبرز أهمية دراسة هذه الحقبة في تقديم "مادة تاريخية أصيلة تسهم في تعميق الفهم لطبيعة البنية الإدارية والسياسية والاجتماعية في الدولة المملوكية"**(حايف، 2024، ص. 320).**

أولا: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في رصد وتحليل ظواهر التضخيم والمبالغات في مصادر العصر المملوكي على التهويل الرقمي والتوصيفين في مرويات الأوبئة والمجاعات، مما يثير تساؤلات علمية حول مدى مطابقة تلك الأرقام للواقع السكاني والاقتصادي، والدوافع النفسية والاجتماعية والثقافية التي حكمت المؤرخين نحو هذه المبالغة.

ثانيا: أهداف البحث

يهدف البحث إلى ما يأتي:

1- تتبع مواضع التهويل والمبالغة الرقمية في مدونات الأوبئة والمجاعات المملوكية.

2- تفكيك النص التاريخي ومقابلة الروايات لتمييز الحقيقة التاريخية عن المبالغة المدونة.

3- استخراج المعايير النقدية وقيمتها المرجعية للتعامل مع الأرقام غير المعقولة في التاريخ الاجتماعي.

ثالثا: منهج البحث

ارتكزت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي المقارن من خلال تقصي الروايات التاريخية ومقابلة المصادر المعاصرة للحدث ببعضها وإخضاع الأرقام والنصوص للنقد واستبعاد التهويل الصريح.

رابعا: الدراسات السابقة

ركزت الدراسات السابقة التي تناولت الكوارث في العصر المملوكي على التوثيق التاريخي والآثار الاقتصادية والاجتماعية بينما يختص هذا البحث بنقد ظاهرة التهويل والمبالغة الرقمية بصفة مستقلة وتفكيك بواعثها وصياغتها منهجيا.

المبحث الثاني: التهويل في ارقام الأوبئة والمجاعات واهوالها في العصر المملوكي.

تشير الروايات التاريخية إلى أن المبالغات في الأعداد كانت شائعة خاصة في الأحداث المتعلقة بالأمراض والأوبئة والمجاعات التي عانت منها مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي (648 / 923هـ)، ومن الأمثلة على ذلك ما نقله المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي (ت 845 هـ) في حوادث سنة (656هـ / 1258م)، عن مؤرخي العصر كاليونيني وأبي شامة، إذ يسلط الضوء على سياق الغلاء الذي أصاب البلاد حيث ارتفعت الأسعار بشكل ملحوظ في دمشق وحلب وأرض مصر « فقد بلغ سعر مكوك القمح في حلب مائة درهم والشعير ستين درهماً والبطيخة الخضراء ثلاثين درهماً » وشهدت بغداد أعمال قتل واسعة أدت لمصرع نحو الألفي ألف إنسان، وفي الغضون ذاتها تفشى وباء في بلاد الشام حيث كانت تسجل حلب يومياً وفاة ألف ومائتي نفس ، ومات الكثير من أهل دمشق بينما ارتفع سعر الرطل من التمر الهندي إلى ستين درهم (المقريزي ،1998،اليونيني 2007،أبو شامة ،1991).وعلى الرغم من حقيقة ان المجاعات تؤدي الى وفيات لكنها ليست كالطواعين والاوبئة التي تسفر عن اعداد هائلة من الموتى خلال أيام قليلة، وعليه، إذ يرجح التحليل التاريخي وجود مبالغة رقمية في تقدير هذه الوفيات اليومية نظرا لاعتماد التدوين التاريخي آنذاك، وكذلك الحال في تقدير عدد سكان بغداد وتجاوز القتلى حاجز المليوني

إنسان، إذ تعد هذه الارقام مبالغة واضحة لكنها تقرب عظم الحدث والفاجعة التي لحقت بأهل المدينة وعلى صعيد تابع يخص تهويل انعكاسات المجاعة ينقل المؤرخ المقريزي في احداث سنة (694 هـ/ 1294م) ما تعرضت له البلاد من ازمة شديدة جراء انخفاض منسوب نهر النيل إلى ستة عشر ذراعاً وسبع عشر إصبعاً التي ضربت بلاد مصر والنواحي المجاورة، مما أدى إلى تصاعد جنوني في أسعار المحاصيل المعيشية إذ « بلغ سعر الأردب بحسب دراسة هينتس (1970، ص. 59) من القمح في مصر مائة وخمسين درهماً من الفضة بسبب الجفاف والقحط » تزايد عدد الوفيات بشكل مقلق حيث سجلت الدواوين السلطانية وفاة سبعة عشر ألفاً وخمسمائة شخص في شهر ذي الحجة فقط عدا الغرباء والفقراء الذين كان عددهم أكبر بكثير كما «حدثت حالات من الجوع الشديد حيث اضطر الناس إلى أكل الحيوانات الميتة والكلاب والقطط والحمير وفاقت الوفيات في بعض الأيام الألف» (المقريزي ،1998). هذا الوضع الكارثي يعكس الأثر العميق للغلاء، ويعزى التباين في لنص بين الارقام الاقتصادية واعداد الوفيات المسجلة الى الطبيعة التقديرية لحجم الوفيات في الشهر الواحد، وفي سياق هذا الغلاء الشديد يردف المؤرخ المصري ابن دقماق (ت 809هـ) في حوادث سنة (694هـ /1294م)، ارتفاعا قياسيا في أسعار الغلال والاقوات حيث « تجاوز سعر الأردب من القمح مائة وخمسين درهماً » ووصل في دمشق إلى مائتي درهم كما عانت المناطق من جدب حاد في المزروعات مما دفع العامة من شدة القحط إلى أكل الميتة والكلاب والقطط والحمير (ابن دقماق،1985). ويلاحظ هنا ان المؤرخ لم يقف عند ذكر ارقام الغلاء للقمح بل هول الحادثة الى اكل العامة المحرمات كالكلاب والحمير في صياغة تبرز فداحة الكارثة والانعكاس السلوكي للازمة، وفي السياق عينه لتهويل المجاعات ينقل المؤرخ المصري بيبرس المنصوري (ت 725هـ) في حوادث سنة (694هـ / 1294م) تفاقمت الازمة المعيشية بمصر واشتد الأمر حتى أكل الناس الميتة جهارا ولحوم الكلاب والقطط والحمير نهارا وقيل إن بعضهم أكل لحوم بعض بل وتذكر الرواية أن امرأة أكلت ولدها من الجوع، وهو ما يعزى إلى الأسلوب التوصيفي الذي يرمي إلى تجسيد قسوة الغلاء، كما تشير المصادر الى ان الموت اخلى بعض المناطق الشامية والمصرية من سكانها ولم يبق إلا النزر اليسير فيها بينما كانت القاهرة يموت فيها كل يوم آلاف الوفيات وبقيت الأجساد مطروحة في الأزقة والشوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنهم لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم هذا وأكثر من يموت يلقون في حفائر بغير غسل ولا أكفان فأكلتهم الكلاب ثم أكل الناس الكلاب ففنيت وفني أكثر الدواب (المنصوري،1998).إذ يميز التحليل التاريخي بين الأثر الاجتماعي الفعلي وبين المبالغات الانطباعية التي استهدفت التهويل الرمزي لعظم الكارثة ، وضمن سياق توثيق الحياة المعاشية ينقل المؤرخ تقي الدين المقريزي في حوادث سنة (695هـ/1295م)، تعاظم اهوال القحط بمصر ، عبر رصد بيانات أسعار الغلال والاقوات ، حيث وصل سعر الأردب من القمح إلى مائة وثمانين درهما بينما تجاوز سعر الأردب من الشعير مائة درهم أما الفول فاقترب سعره من تسعين درهما كما كان سعر الترمس ستين درهما للأردب بعد أن كان خمسة دراهم، وتكشف من هذه المقارنات الرقمية عن عمق الاختلال الاقتصادي، إذ اصبح الخبز فقد بيع بسعر يوفر لكل رطل درهم، حيث بيع الدجاج بعشرين درهما بعد أن كان سعره ثلاثة دراهم وتم ذبح فراريج للمرضى، وسجل أن «كل وزن منها يعادل درهم فضة وبيعت بطيخة بمائة درهم فضة مع بيع رطل منها بأربعة دراهم أيضاً وصلت أسعار السفرجل إلى ثلاثين درهما ورطل اللحم إلى سبعة دراهم في حين كانت أسعار سبع حبات من

بيض الدجاج بدرهم في المقابل لم يتجاوز سعر القمح في بلاد الصعيد الأعلى الخمسة والسبعين درهما للأردب» الظرف المأساوي الذي آل إليه حال الناس والحيوانات بسبب شدة القحط حيث هلكت الدواب نتيجة عدم توفر العلف، حتى اختفى الكثير منها ولم يعد هناك حتى حيوانات للكراء، وتعاني الناس بشكل ملموس في ظل هذا الوضع أصبح الأمراء يقيدون دخول الأعيان إليهم بسبب الفقر والجوع المتزايد وكثرت حالات تجارة لحوم الكلاب وما يسمى بالميتة مما يدل على تفشي اليأس بين الناس وتفاقمت الأمور بشكل فظيع حيث بدأ الناس يأكلون من الميتة والكلاب ووصل الأمر إلى تناول النساء لأطفالهن الموتى (المقريزي،1998).كل الاخبار التي تؤرخ لوقائع المجاعات تقرأ في ضوء التحليل النظري لمناهج التدوين ، إذ يرجح ان ورود حادثة اكل الام ابنها يندرج ضمن أساليب التهويل الرمزي التي استهدف بها المؤرخون تجسيد ذروة الفاجعة الانطباعية. ويستبين من المقارنة المنهجية بين مرويات بيبرس المنصوري والمقريزي في تقييد حوادث هذه السنوات ، ان ثمة تباينا واضحا في النظرة الى اثر الازمة ،فبينما يميل المنصوري إلى التهويل العاطفي والتركيز على مظاهر الانحلال الاجتماعي كأكل اللحوم المحرمة للتدليل على الفجيعة ، كما يقدم المقريزي قراءة اكثر تفصيلا تعتمد على المقارنة الرقمية للأسعار وتفاوتها بين أقاليم الدولة كالقاهرة وهذا التباين النقدي يظهر ان نقل المؤرخين لأخبار المجاعات لم يكن معيارا ثابتا ، بل خضع للتفاوت بين الوصف الانفعالي والتدوين التوثيقي . وعن الواقع المعيشي المفجع ينقل المؤرخ ناصر الدين ابن الفرات (ت 807هـ) في حوادث سنة (695هـ / 1296م) أن أهوال الغلاء اشتدت وكثر الوباء بالديار المصرية ، اذ تعكس بياناته الرقمية حجم التضخم النقدي، حيث وصل سعر القمح إلى مائة درهم وسبعة وستين درهماً عن كل إردب بالمصري وقيل إنه بلغ مائة وثمانين درهم والشعير زاد على المائة درهم من كل إردب والفول من ثمانين إلى تسعين درهم ، وتكشف هذه الرواية عمق الازمة حين تعرضت الديار المصرية لقحط شديد أدى إلى أكل الجيف وازدياد الوباء وتسبب في وفاة العديد من العامة جوعاً وسط الطرقات ، مما انعكس في تصاعد حصيلة الوفيات بمصر خلال شهر صفر أكثر من مائة ألف حالة، وتصاعدت اسعار الخبز عند درهم ونصف للرطل في الإسكندرية وسعر الفروج إلى ستة وثلاثين درهماً بينما في القاهرة إلى تسعة عشر درهماً وسعر البيض ثلاثة بدرهم، وتعرضت الحمير والقطط والكلاب لهلاك بسبب المجاعة وضيق الحال عمد المحتسب الى عقاب زهاء خمسة وعشرين طباخاً ولحاماً يوميا بسبب بيعهم لحوما غير صالحة كلحوم الكلاب والميتة، ويسوق المؤرخ خاتمة مأساوية لامرأة فقيرة دهمها الجوع الشديد حتى لقيت حتفها فجأة بعد اطعامها وعند فتح الجراب الذي كانت تحمله وجدا فيه يد ورجل طفل صغير(ابن الفرات،1936). وهو ما يفسره التحليل التاريخي بأن اللجوء لتسجيل مثل هذه الحوادث الصادمة يهدف بالدرجة الأولى الى تجسيد الصورة الانطباعية لشدة الازمة وتصوير القسوة البالغة للغلاء اكثر من كونه رصدا إحصائيا نمطيا ، «ويسترسل التدوين التاريخي نفسه في نقل مظاهر تهويليه مروعة للتخلص من الجثث نتيجة عجز الرعية إذ يذكر المؤرخ ابن الفرات إن الفاجعة الوبائية تفاقمت بالقاهرة حيث شهدت حالات وفاة كثيرة وكان يتم حصر الموتى الذين يخرجون من أبواب المدينة ليصل عددهم إلى أكثر من سبعمائة حالة وفاة في اليوم الواحد» وهذا الرقم يشمل من كانوا يسكنون داخل القاهرة ويخرجون من أحد أبوابها السبعة وقد شمل هذا الهلاك جغرافية القاهرة واماكنها مثل الشارع الأعظم الصليبة وجامع الحاكمي وقناطر السباع سويقة العزي ويبدو ان سوق الغنم الحسينية كان يسجل وحده يوميًا نقل حوالي مائة وخمسين نفسا، من الموتى الغرباء

إلى أماكن مخصصة لغسلهم وعندما يخرج أي شخص من أصحاب الأموال أو المستورين من منازلهم في صباح اليوم كانوا يواجهون اثار هذا الوباء الجارف ويشير النص إلى تراكم الجثث ما بين خمسة إلى ستة أو أكثر في الأماكن العامة حيث عجز الناس والولاة عن اتخاذ التدابير اللازمة لدفنهم ومع مرور الوقت اضطر العامة للاستعانة بالأجرة لحمل الأموات وتم اللجوء إلى حفر مطامير وحفر كبيرة حيث ترمى الجثث بعضها فوق بعض مع وضع الأطفال بين الأرجل لتحقيق التوازن في ردم التراب وبرزت مشكلة أخرى بمن لم يجد من يدفنه حيث اكلت الكلاب جثامينهم ،في مشهد فاجع، إذ تشير الاحصائيات المذكورة إلى أن الذين لقوا حتفهم في هذه الفترة حوالي مئة وسبعة وعشرين ألفاً(ابن الفرات،1936). مما يبرز حجم الفاجعة التي حلت بالقاهرة، غير أن التحليل التاريخي المقارن يشير إلى احتمال التضخم التقديري في هذا الرقم، بالنظر إلى المدى التقديري للإجمالي الكثافة السكانية لمدن تلك الفترة. وفي سياق موضوعي مشابه لرصد شدائد الجوع ينقل المؤرخ المصري النويري (ت733هـ) في حوادث سنة(717 هـ/1317م)وردت الاخبار الى بلاد الشام بما حصل بديار بكر والموصل وإربل وماردين والجزيرة وميا فارقين وغيرها من الغلاء العظيم والجلاء وخراب البلاد وبيع الأولاد وضعًا كارثيا في المناطق المذكورة نتيجة المجاعة والوباء في ماردين ارتفع ثمن الخبز إلى أربعة دراهم مما أدى إلى وفاة العديد من العامة وأكل الميتة وفي الجزيرة العمرية قدرت الوفيات الناجمة عن الجوع والوباء بخمسة عشر ألفًا، وتزامن ذلك مع بيع ثلاثة آلاف طفل بأسعار بخسة .تتراوح بين عشرة وخمسين درهما ويشير أيضًا إلى أن التتار كانوا يشترون هؤلاء الأطفال واما في بيوت ميا فارقين (القلقشندي،1918.).وتسترسل الرواية في وصف فداحة الازمة ، إذ فاحت رائحة الجيف لدرجة أن الكلاب كانت تأكل من الجثث تعطلت أحوال المتسوقة والتجار حيث خربت الأسواق ولم يبقا سوى ستة دكاكين، وفي المقابل يلاحظ أن الوضع في الموصل أسوأ من ماردين إذ اضطرت الأسر إلى ببيع كل ما تملك بما في ذلك أولادها مما يعكس حجم المجاعة التي كشفت عن اليأس الذي وصل إليه السكان حيث كان بعضهم يبيع أولاده مقابل مبالغ زهيدة مقارنة بالنفقات السابقة على تربيتهم والاضطرار الى استخدام الذرائع، للحصول على الطعام وسد الرمق (النويري،2004).وهنا يتناول الباحث بالنقد هذه الرواية ا، إذ ان الذي سيوقف القارئ لهذا النص هو الطبيعة التقديرية لبيع ثلاثة الاف طفل ليس لان المجاعة لا تؤدي الى ذلك ولكن الرقم مبالغ فيه، فالتساؤل المنهجي المطروح هو ،كيف تم احتساب الأطفال بحيث كانوا بهذا العدد بالكمال والتمام، وفي اطار رصد الأوضاع المعيشية للرعية يسجل المؤرخ المصري ابن تغري بردي(ت 874 هـ) اهوال سنة (718هـ/1318م) حيث شهدت مدن أربل (الحموي،1977) وماردين (أبو الفداء،1930).حرمان وقحط بليغ نتيجة ارتفاع اسعار الغلال والاقوات المتزايد واضطروا إلى أكل الجيف وبيع أولادهم اذ وصل سعر الخبز إلى ثلاثة دراهم لكل رطل مما جعل الوضع يزداد سوءًا وبيع للتتار زهاء ثلاثة آلاف صبي وتوفي عدد كبير من العامة بسبب الجوع وعلى نحو يظهر غرائبية اثار القحط مما اضطر رجل ان باع ولده في مقابل رغيف من الخبز ليأكله ثم يموت بعد ذلك (ابن تغري بردي،1949). الغلاء قد يؤدي الى مجاعة لكن ليس الى حد مقايضة فلذة الكبد برغيف خبز وهذا يعكس نمط التهويل الانطباعي لدى المؤرخ إذ يرجح نقله عن الرواة وليس عن طريق المشاهدة والمعاينة. وتماشيا مع ما تم ذكره من اتجاه تقديري للكوارث يردف ذات المؤرخ في سياق زمني اخر لأحداث سنة (748هـ/1347م) حيث دهم الوباء اقطار الشام اذ سجلت حالات وفاة بسبب بثور تؤدي إلى الموت السريع، تبع ذلك تفشي الوباء في مناطق أخرى كحلب وغزة

اذ قدرت في حلب بزهاء خمسمئة إنسان يومياً بينما سجلت «غزة أكثر من اثنين وعشرين ألف حالة وفاة في فترة زمنية قصيرة الأشخاص كانوا يموتون في حقولهم وأثناء العمل مما تسبب في كساد الأسواق وخلو الحواضر» كما اشير إلى تأثير الوباء على الحيوانات حيث ماتت الأبقار وآل الامر الى اضطراب جارف جراء فرار الولاة (ابن تغري بردي،1949).

تهويل الكارثة.

تطبيق المنهج الكمي والجداول الإحصائية المضافة للبحث

الكارثة	المؤرخ	التقدير الاحصائي	التقدير السكاني
وباء سنة 695هـ	ابن الفرات	– 700 حالة وفاة يوميا بالقاهرة – 150 نفسا يوميا من الموتى الغرباء – 127,000 اجمالا	يقدر عدد سكان القاهرة في منتصف القرن8هـ/14م بنحو 600,000نسمة استنادا الى المرجع ومقارنة إجمالي الوفيات المذكور يمثل نسبة 21% من اجمالي السكان مما يرجح صدور الرقم عن انطباعات عينية شفاهية **(قاسم عبده 1993).**
طاعون سنة 748هـ	ابن تغري بردي	– 500 حالة وفاة يوميا في حلب – أكثر من 22,000حالة وفاة في غزة خلال فترة قصيرة	**التقدير الديموغرافي والنقد المنهجي.** يعكس الرقم المورد 22,000 وفاة طغيان التهويل الانطباعي والشفاهي فمقارنته بالطاقة الاستيعابية لمدينة إقليمية كغزة ومعدل 500 وفاة بحلب تعني فناءا تاما لسكانها مما يرجح اعتماد الرواية على الشائعات الشفاهية وتوقف دفاتر الحصر الرسمية إبان الفاجعة **(غوانمة 1983).**

جدول رقم (1) التقديرات الإحصائية لوفيات الأوبئة والطواعين في المرويات التاريخية ومستوى التهويل فيها:

يلاحظ من خلال البيانات الواردة في الجدول رقم (1) وجود نزعة واضحة في التهويل والتضخيم الرقمي لدى مؤرخي العصر المملوكي عند تدوينهم لكوارث الأوبئة والطواعين إذ يظهر رصد البيانات عند المؤرخين ابن الفرات وابن تغري بردي باعتمادهم على الملاحظات العينية دون الاعتماد على السجلات الإحصائية الرسمية والدواوين.

وفي نفس الصدد لتدوين اهول الفناء يتابع المؤرخ ابن تغري بردي في حوادث سنة (748هـ/1347م) توثيق الطاعون الأعظم اذ ذكر ان الوباء عقب فناء في المحاصيل حيث توفي الفلاحون بأعداد كبيرة ولم يتبق ، إلا القليل منهم مما أضر بالمزروعات وخراب العمارة لرفع الجوع الطاحن، ومما دفع الفاجعة الى مدى اوسع عانت بلبيس وسائر الشرقية من تفشي وباء أدى إلى انقراض كبير في أعداد الفلاحين بدءاً من بداية فصل الصيف حيث تكدست جثث الموتى في الطرقات ، وشمل الموت سكان بيوت الشعر ودوابهم ومواشيهم مما أدى إلى امتلاء المساجد والفنادق والمحلات بالموتى، وتكشف الرواية التاريخية عن مظاهر مأساوية استثنائية ،إذ لم يتبق مؤذن في المسجد وطرحت جثث الموتى في جامع بلبيس وصارت الكلاب تأكل بالموتى، ومع دخول شهر رجب هبت ريح شديدة في منتصف الليل واستمرت لساعتين تهاوت معها الدواب وعقب انتهائها استمر الموت الحاد لمدة شهر حتى بلغت الوفيات في اليوم الواحد ألف ومئتي نفس مما أدى الى عجز دواوين الحسبة عن إحصاء الموتى وصارت الجثث ملقاة في البساتين (ابن تغري بردي،1949).غالبا ما يؤدي الطاعون الى وفيات كبيرة لكن ذكر المؤرخ لهذا الرقم المبالغ فيه من الوفيات يستند الى عدم الدقة في الإحصاء بذلك العصر وانما أراد التهويل لفداحة الفناء ثم كيف تأكد ان العدد 1200 نفس إذا كان ديوان الحسبة نفسه لم يستطع القيام بعد الموتى وهو المسؤول عن ذلك، واستنادا لمسار التضخيم لأهوال الفناء يتابع المؤرخ ابن تغري بردي في حوادث سنة (748 هـ/1347م)، يذكر بأن القاهرة كانت شبه فارغة وخلت شوارعها من الناس ولم يكن هناك شخص يتجول من باب زويلة إلى باب النصر لاشتغال الجميع بوفاة قريبيهم عانت المدينة من تراكم الأتربة وظهرت على وجوه السكان آثار الكآبة بينما امتلأت البيوت بصيحات الحزن لعدم وجود شارع خالٍ من الموتى وأقيمت صلاة الجمعة بعد صلاة الجنازة في الجامع الحاكمي حيث اصطفت التوابيت بشكل مزدوج من باب مقصورة الخطابة إلى باب الجامع والناس متجمعون خارجًا كانت الأزقة والحارات متسعة من غياب السكان على وجه الخصوص في حارة برجوان حيث خلت اثنتان واربعون دارا بشكل كامل جراء الوضع المأساوي وتركت الأمتعة بلا من يتولى أمرها اذا تم حصر عدد الأشخاص الذين تم قضاء الصلاة عليهم في مناطق محددة مثل باب النصر وباب زويلة وباب المحروق بالإضافة إلى أماكن أخرى مثل المصليات والقلاع وقد بلغت الحصيلة في يومين زهاء ثلاثة عشر الفا وثمانمائة شخص ، بينما تقدر بعض المصادر أن عدد وفيات يوم واحد قد وصل إلى عشرين الف شخص ،كما تم تسجيل عدد الوفيات المستمر خلال شهري شعبان ورمضان ليصل العدد الإجمالي إلى نحو تسعمائة الف شخص ،كما سجل تصاعد عدد الوفيات المستمر خلال شهري شعبان ورمضان (ابن تغري بردي،1949). وهذا الرقم ترجح فيه الطابع الانطباعي التقديري، خاصة إذا اخذنا بعين الاعتبار غياب التدوين الاحصائي الممنهج في تلك العصور. ومن زاوية أخرى يتابع ابن تغري بردي رصده لأحداث سنتي (748–749هـ / 1347–1348م)، حيث اشتد الوباء في مصر والشام وكان عدد الوفيات في القاهرة ومصر يتراوح بين عشرة آلاف الى خمسة عشر ألف نفس إلى عشرين ألفاً يومياً، حتى عجز الناس عن مواجهة الموقف بينما حفرت الحفائر لدفن الأعداد الكبيرة اجتاح الوباء جميع المناطق وتأثرت حتى الحيوانات عانت أنطاكية من وفاة جميع سكانها في حين استمر الفرار من المدن لكنها كانت قاتلة حيث توفي من هرب وهلك الكثير في قيصرية (الحموي،1977). حتى الأكراد الذين بحثوا عن مفر من الموت واجهوا نفس المصير ولم يجدوا مكاناً آمناً انقرضت مجموعات من الناس مثل بلدة سيس (القلقشندي، 1918).

بالنظر إلى أن شام من الحواضر الكبرى فإن القول بفناء جميع سكانها يحمل على المبالغة التدوينية الانطباعية (ابن تغري بردي،1949). تعد انطاكيا من المدن الكبيرة فهل يعقل ان يموت جميع السكان من الوباء هذه مبالغة واضحة. وعلى صعيد متصل يتابع المؤرخ ذاته تداعيات الجائحة في حوادث نفس السنة اذ ذكر انخفاض الفلاحين بشكل كبير عند حلول الحصاد ولم يتبق منهم إلا القليل خرج الجنود مع صغارهم للحصاد وعرضوا مكافأة لمن يحصد لكن لم يتمكن أحد من القيام بذلك ترك الفلاحون معظم محاصيلهم غير محصودة بينما قام الجنود بتجميع ما لديهم من غلال على خيولهم، خربت الاعمال مثل أسيوط (الحموي،1977). حيث كانت تأوي ستة آلاف شخص، يجمع منهم الخراج ولكن بسبب وباء هذا العام تراجعت الأعداد إلى مائة وستة عشر نفراً فقط (ابن تغري بردي، 1949). يلاحظ المبالغة بالنص من تراجع اعداد السكان هذا تراجع يعني فناء كل مدينة أسيوط وهذا يفوق المنطق وإنما اعتمده المؤرخ كأداة تضخيم للحادثة، ومن هذا المنطلق يذكر المؤرخ ابن تغري بردي في احداث سنة (748هـ / 1347م) أن «الموت نشأ بسبب ريح تنبعث من البحر مما يؤدي إلى سقوط الشخص بمجرد استنشاقه لها فيخر ميتا على الأرض حتى وصلت مراكب إلى الإسكندرية تحمل اثنين وثلاثين تاجراً وثلاثمائة رجل بما في ذلك بحارة» وعبيد حيث توفي جميعهم عدا أربعة تجار وخادما واحداً وأربعين بحاراً(ابن تغري بردي ، 1949).ان الأوبئة مهما اشتدت ضراوتها لا يمكن ان تفتك بالبشر بمجرد استنشاق ريح عابرة بل عمد المؤرخ الى إضافة طابع التهويل للحادثة ولماذا نجى أربعة فقط هل استنشقوا ريح أخرى مختلفة. وفي نفس الصدد يسترسل ذات المؤرخ في تدوين احداث سنة (749هـ / 1348م) حيث بدأ الوباء في دمشق وكان يظهر بثرة خلف الاذن تعصف بالمصاب تودي بحياته بعد وقت قصير مع تفشي المرض كان الناس يبصقون دماً ويموتون خلال ساعة في حلب بلغ عدد الوفيات خمسمائة نفس في اليوم الواحد بينما شهدت مدينة غزة وفاة أكثر من اثنين وعشرين ألف إنسان ، خلال فترة قصيرة مما أدى إلى غلق الأسواق وترك المدينة خالية من السكان وجثث الضحايا ملأت الشوارع (ابن تغري بردي ، 1949).من الصعب تصديق ان الوباء يفتك وفي مدينة واحدة اثنين وعشرين ألف انسان في فترة قصيرة هذه الارقام تحتاج الى إحصاءات ودواوين ليتمكن المؤرخ من تحديد هكذا ارقام وفيات. ويتضح من خلال المقارنة التحليلية لهذه البيانات المتواترة بين أقاليم مصر والشام، ان المدونة التاريخية لدى ابن تغري بردي تعكس صعوبة الضبط الاحصائي ابان الازمات الحادة، إذ تظهر المقارنة بين مؤشرات تراجع السكان في أسيوط ومعدلات الوفيات اليومية في غزة وحلب اعتمادا بينا على التقديرات الشفاهية دون الاستناد الى سجلات حصرية او دواوين رسمية. وفي نفس الصدد لتقصي اثار الموت الجارف في القاهرة سنة (749هـ /1348م) يتابع ابن تغري ذلك حتى أقيمت صلاة الجنازة في الجامع الحاكمي على سبعمائة نفس ، في يوم واحد وجرى حمل الموتى على ألواح وسلالم لكثرة اعدادهم ، انعكس هذا الوضع المأساوي على النشاط الاقتصادي ،إذ أُغلقت المصانع السلطانية مثل دور الطراز ودور الوكالة كما كادت الأسواق تعطلت وتم التخلص من الخمور والمحرمات ووصل إلى ثغور الإسكندرية مركب يحمل الفرنج وقيل ان الركاب شاهدوا قبل وصولهم سواحل طرابلس مركباً تحوم حوله طيور كثيرة وعند الاقتراب وجدوا جميع من في المركب قد ماتوا والطيور أيضاً نفقت جراء الوباء وتوفي أكثر من ثلثي أفراد الطاقم قبل بلوغ الإسكندرية حتى بلغ الوباء الى دمنهور مما أدى الى هلاك عدد كبير من السكان ونفوق الدواب والمواشي وتعطلت الصناعات بشكل كامل نتيجة فقدان هذه الأرواح كما تأثرت الديار المصرية ، حيث توقف الصيد

بسبب وفاة الصيادين في قواربهم وموت معظمهم أثناء العمل (ابن تغري بردي،1949).يلاحظ ان ابن تغري بردي لم يقف عند حدود ذكره اعداد الوفيات الكبيرة بل ادعى أيضا نفوق الطيور وموت الصيادين وهو أسلوب الغرض منه تهويل الحادثة وتحويلها الى كارثة تفوق الخيال في ذلك العصر خاصة وان الخبر لم ينقل معاينة بل عن طريق السماع وما يتداوله الناس عن ذلك الوباء، وتماشيا مع ما تم ذكره استرسل المؤرخ ابن تغري بردي توثيق الطاعون الأعظم اذ ذكر في أحداث سنة (749هـ / 1348م) ان الوباء تفشى بشكل غير مسبوق في مصر والشام بدأ الوضع يتدهور مع حلول فصل الخريف حيث ارتفع معدل الوفيات في أشهر شعبان ورمضان وشوال وسجلت في القاهرة ومصر العتيقة ما بين ،عشرة آلاف إلى عشرين ألف نفس يوميا ومع تزايد أعداد القتلى تحمل الناس مسؤولية دفن الموتى ولم يكن هذا الأخير بالأمر السهل بل كان يستخدم للأغراض عبارة عن ألواح خشب أو سلالم لكثرة الموتى وتكشف الأعراض الموصوفة عن طبيعة المرض، إذ تشير إلى انه طاعون سريع الانتشار حيث يصاب الشخص ثم يموت في اليوم التالي تفشى الوباء على نطاق واسع ، مما أثر على جميع الطبقات الاجتماعية وأدى إلى غلاء في الأسعار طال كل شيء وكان البؤرة الأولى للوباء من اقاليم القان الكبير وامتد ليشمل مناطق أخرى مما يدل على أن الوباء لم يستثن أحدا في جميع أصقاع الأرض (ابن تغري بردي،1949). ويثير هذا الطرح تساؤلا منهجيا حول الالية الإحصائية التي اعتمدها المؤرخ في تقدير هذه الاعداد ومدى إمكانية توثيق شمول الوباء لكافة الارجاء مع حدود التدوين في عصره، واورد الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) في أحداث السنة عينها أن الطاعون أدى إلى وفاة معظم المزارعين قبل حصاد. المحاصيل مما استدعى الجيش والأطفال للمساعدة في جني المحاصيل وقد بدأ انتشار الطاعون بالتزايد حتى بلغ ذروته خلال شهر رمضان حيث كان هناك ارتفاع ملحوظ في عدد الإصابات في شهري رجب وشعبان (العسقلاني،1975). يصف المؤرخ فناء أغلب المزارعين جراء الطاعون والمفارقة هل كان الجيش والأطفال بمنعزل عن الوباء الذي أصاب البلاد الى حد كبير بل يعد أسلوبا للإبراز التداعيات الاقتصادية للوباء وربطه بأهوال المجاعات الناتجة عن نقص الأيدي العاملة، ومفهوما ان التركيز على فناء المزارعين دون غيرهم يعزز فرضية النقد التاريخي ، إذ يظهر التحليل المقارن للرواية ان الهدف لم يكن احصائيا دقيقا بقدر ما كان محاولة لتفسير ازمة نقص الغلاة الحادة ، ومن هذا المنطلق في تفشي الطاعون بالظلال ينقل الحافظ العسقلاني في حوادث سنة (776هـ /1374م) أن الطاعون تفشى بحاضرة دمشق حيث زادت وتيرته في شهر رمضان وكثرت الشائعات حول رؤية الجن يمتطون خيلاً كجراد يحملون رماحاً يطعنون بها الناس في الأزقة مما يؤدي إلى وفاة من يطعن فوراً كما أكد القائمون على غسل الموتى ذلك (العسقلاني،1969). تظهر المبالغة بالنص وكأنها خوارق اسطورية تجاوزت الحدود الواقعية للمرض وهو أسلوب تكرر في الروايات المملوكية مما يدفع العامة لتخيل الموت المفاجئ كأنه طعنات من جن وهو أسلوب يعكس حالة الرعب الجماعي للعامة والفزع الناتج عن أهوال الطاعون، وهي ظاهرة نفسية واجتماعية تؤكدها المقارنة بروايات الأوبئة في المدن الأخرى حيث تتداخل الغيبيات والاساطير مع التفسير العلمي القاصر للوباء إبان حالة الفزع ، ومن زاوية أخرى تخص اهوال الجوع يورد الحافظ العسقلاني في احداث سنة (777هـ/1375م) اذ «شهدت دمشق وقوع غلاء عظيم وارتفعت أسعار الغرارة إلى خمسمائة درهم بعد أن كانت في الرخص بخمسين استمر الغلاء حتى دفع الناس إلى أكل الميتات كما تزايد الغلاء في الشام نقصت الأقوات وشحت الغلال» مع تزايد أعداد الموتى

ومع نهاية السنة بدأ السعر في التناقص وغزا الغلاء مدينة القاهرة بشدة حيث وصل سعر اللحم إلى درهم ونصف لكل رطل كما عانت مدينة حلب من ارتفاع الأسعار حيث وصل سعر المكوك (المقدسي،1991).من القمح إلى ثلاثمائة درهم وتضاعف حتى بلغ الألف مما دفع الناس إلى تناول اللحوم المحرمة مثل الميتة والقطط والكلاب، حيث باع العديد من الأسر أبناءهم ويقال إن بعضهم أكلوا لحم بعضهم الآخر بما في ذلك أبنائهم تزامنت مع هذه الأزمات أزمة وبائية أدت إلى موت الكثيرين حيث كان يتم دفن العشرات في القبر الواحد بدون غسل أو صلاة يذكر أن هذا الوباء استمر في المناطق الشمالية لمدة ثلاث سنوات ولكن كانت السنة الأولى هي الأكثر شدة (العسقلاني،1969).وعند إخضاع هذه الأرقام للمقارنة النقدية بين الأقاليم الثلاثة (دمشق ، القاهرة ، حلب) يتبين ان المؤرخين اعتمدوا على نقل الصورة الشائعة ،حيث تظهر المقارنة الإحصائية لأسعار القمح واللحوم تضخيما كبيرا الهدف منه التعبير الرمزي عن اتساع رقعة المجاعة وليس إحصاءات دقيقا للأسعار والمستويات المعيشية. وفي هذا الصدد المرتبط بتصاعد أسعار الغلال يتابع المؤرخ ابن الفرات في احداث سنة (797هـ / 1395م) فيذكر ان السلطان الظاهر برقوق (784هـ /801هـ) جلس في دار العدل عندما ارتفعت الأسعار بسبب غلاء الأقوات حيث وصل سعر الأردب من القمح إلى حوالي المائة درهم ، ومع استمرار التدابير الديوانية للسلطان لمساعدة الرعية اتخذت عدة إجراءات من الرفق لتخفيف معاناتهم نتيجة هذه الظروف العسيرة وقرر فرض تسعيرات للمواد الأساسية كوسيلة للتخفيف من شدة الكارثة، ولكن على الرغم من ذلك استمر الغلاء في التصاعد مما أدى إلى زيادة أسعار القمح إلى مائة وخمسة دراهم لكل أردب والشعير إلى سبعين درهماً والخبز إلى درهم لكل ثلاثة أرطال كما ارتفعت أسعار اللحم إلى درهم وثلث لكل رطل وفي الإسكندرية بلغ سعر القمح ثلاثة مئة وعشرين درهماً «ومع تفاقم الأزمة اضطر الناس إلى تناول أوراق النباتات مثل ورق اللفت والكرنب وعروق الفول الأخضر كجزء من قوتهم اليومي3» (ابن الفرات،1936). وهو ما يعكس مبالغة نقدية إذ مهما ارتفعت الأسعار لا يتصور الفناء التام للأقوات بل يتجه المؤرخ الى التهويل. وعلاوة على ذلك ومع رصد مآسي الفناء يورد المؤرخ المقريزي في احداث سنة (814هـ/1411م) ان الطاعون ارتفع في البلاد الشامية حيث أودى بحياة العديد من الناس وتشير الرواية إلى عدد الذين توفوا في دمشق وسكان غوطتها بلغ حوالي خمسين ألف شخص، بالإضافة إلى الآخرين الذين لم يعرف عددهم بالتحديد، ونتيجة لهذا الوباء خلت عدة قرى من سكانها في حين بقيت المحاصيل قائمة على أصولها لعدم وجود من يحصدها (ابن شاهين،2002). مما يقتضي إخضاع هذه الرواية لقراءة إحصائية نقدية إذ يستبعد منطقيا ان تؤدي هذه الاعداد يمكن القول ان الوباء مهما تسبب في وفيات كثيرة لكن من الصعب على المؤرخ التأكد من إحصاء عدد الوفيات البالغ عددهم خمسين ألف نفس وهل كان سكان مدينة دمشق بهذا العدد في ذلك العصر لذا فأنه على الاغلب هذه مبالغة واضحة من ذلك المؤرخ، وتماشيا مع ما تم ذكره اذ شهدت مدينة حلب فواجع متلاحقة يذكر ابن حجر العسقلاني في حوادث سنة (825هـ/1421م) ان الوباء تفشى بطريقة مفرطة حيث قدرت الأعداد التي قضت نحبها جراء هذا الوباء بحوالي سبعين ألف شخص وقد أدى هذا الطاعون إلى فراغ المدينة من معظم سكانها مما يدل على فداحة الفناء الذي رصدته المصنفات التاريخية والذي خلف هذا الحدث المروع (العسقلاني،1969). ويطرح على هذا النص مأخذ منهجي إذ ان القول بوقوع وفيات كثيرة مقبولة تاريخيا إلا ان النص يتضمن مأخذين الأولى كيف تسنى للمؤرخ التأكد من عدد. الموتى السبعين ألف؟ وهل هناك

إحصائية معتمدة؟ ولماذا تحديدا هذا الرقم بالتمام والكمال؟ ومدى تناسب هذا الرقم مع حجم سكان حلب آنذاك مما يرجح طابع المبالغة في هذا الرقم وعدم صدوره عن دراية دقيقة بأعداد الموتى؟ وفي نفس الصدد يذكر المؤرخ المصري ابن شاهين (ت 873هـ) في تتبع مسار الأوبئة لأحداث سنة (833هـ/1429م) حيث شهدت القاهرة ومصر العتيقة وباءً شديدا أدى إلى وفاة ما لا يقل عن مائة ألف إنسان، ومما يلاحظ في هذا السياق ان هذه الأرقام اقتصرت على القاهرة ومصر العتيقة دون بقية الأقاليم في الوجهين القبلي والبحري، واستمر انتشار الوباء لأكثر من ثلاثة أشهر حيث كانت الوفيات تصل إلى نحو خمسة عشر ألف شخص يومياً في ذروته (ابن شاهين،2002).ويصنف هذا الطرح ضمن المبالغات الصريحة اذ من غير المعقول وفاة خمسة عشر الف شخص يوميا وهذا مجرد تهويل لأعداد الموتى خاصة اذا علمنا عدم وجود إحصاءات دقيقة يعتمدها المؤرخ آنذاك ، وذكر المؤرخ المصري الصيرفي (ت900هـ) في حوادث سنة (833 هـ/1429م) ان القاهرة شهدت زيادة كبيرة في حالات الوفاة بسبب الطاعون حيث وصل العدد إلى ثلاثمائة الف نفس ، إضافة إلى العديد من الحالات غير المسجلة ،إذ ضبطت مصليات الجنائز ليبلغ عدد الوفيات الناجمة عن الطاعون تسعة آلاف شخص ،كما تسجل الوفيات في الإسكندرية بمعدل نحو مائة حالة وفاة يومياً، وتعكس النصوص التاريخية اتساع نطاق الانتشار ،إذ انتشر الوباء ليشمل مختلف المناطق في العشر الأواخر من الشهر، وتم العثور على عدد كبير من الحيتان والأسماك ميتة في بحر النيل والبرك بالقاهرة ومصر حيث كانت تطفو على وجه الماء ورائحتها كريهة وأبلغ بعض الصيادين عن صيد بنية كبيرة لتبدل لونها إلى الدم وكانت شديدة الاحمرار كما أفاد المسافرون بوجود عدد كبير من الظباء والذئاب نافقة على الطريق بين السويس والقاهرة، كما تم ذكر امرأة من مصر توفيت وهي راكبة على حمار مما أدى إلى تركها ملقاة في الطريق حتى ظهرت منها رائحة كريهة وتم دفنها دون معرفة أصلها إضافةً إلى ذلك أُشير إلى أن أهل خانكاه سريا قوس(الحموي،1977)، كانوا يشهدون نحو مائتي حالة وفاة يوميًا وتصل الحالات إلى ستمائة وفاة في بعض المناطق (الصيرفي،1971).وفضلا عن ذلك يلاحظ دمج المؤرخ بين الكوارث الطبيعية وتضخيمها كون الطاعون لا ينتقل بين الفصائل الأسماك والوحوش والانسان في وقت واحد لكن المؤرخ شمله كأنه وباء شامل طال الكل كما ان موت ثلاثمائة ألف في مدينة واحدة امر مبالغ فيه. ومن هذا المنطلق يورد المؤرخ ابن شاهين في مستهل سنة (864هـ/1459م) إن تعطل أحوال الناس كان نتيجة مباشرة لكثرة الموتى حيث أن الجنائز كانت تمر في الشوارع كقطارات وتصف في المصليات وأحيانًا تجعل على بعضها البعض لصلاة واحدة وكانت الأجواء مليئة بالظلمة والتوتر، في حين يتجه النص الى المبالغة في تصوير عمق الازمة حين اعتبر هذا الطاعون من غرائب الزمن إذ قيل إن القليل فقط من الناس نجا منه حتى قيل إنه لم يسلم في الألف شخص واحد، وقد انعكس ذلك في حجم الحصيلة الرقمية، إذ بلغ عدد الموتى في المصليات خلال هذا الشهر في القاهرة نحو خمسة آلاف ، دون احتساب القرافتين ومصر وبولاق وأماكن أخرى (ابن شاهين،2002). ومن المنظور النقدي يرجح ان أجواء كارثة الوباء قد تؤدي بالمؤرخ الى تدوين اخبار غير دقيقة وربما مبالغ فيها كالذي ذكره ابن شاهين في هذا النص تفتقر للواقعية الاحصائية ان شخصا واحدا فقط نجى من كل ألف شخص. ومن زاوية أخرى يتابع المؤرخ ابن تغري بردي في حوادث السنة نفسها اذ في بداية شهر جمادى الاخرة شهدت مصر انتشاراً كثيفاً للأوبئة حيث تفشى الوباء بشكل كبير كما زاد الغلاء المفرط في الأسعار مما أدى

إلى شدة معاناة الناس فوجد الرعية أنفسهم في مواجهة ثلاث تحديات جسيمة الطاعون والغلاء وظلم المماليك واتسم هذا الوضع بأنه قليل الحدوث حيث يجتمع الوباء والغلاء في آن واحد وزاد الطين بلة ظلم المماليك «وكان التعداد في هذا اليوم يتضمن ثلاثمائة وستة عشر نفراً ، حيث تم تحرير عدد من المصليات قدره ألف وتسعمائة ، وأحد عشر من الأشخاص ومع ذلك انكر هذا العدد العديد من الأشخاص حيث اشارت بعض الآراء الى ان عدد الوفيات اليومية في القاهرة يتجاوز الثلاثة آلاف نفر، وقد استندوا في ادعائهم إلى أن الذين تم تكليفهم بضبط المصلوات كانوا منشغلين بأنفسهم وبمن معهم من المساعدين » (ابن تغري بردي،1949). وتعكس هذه الروايات نزعة المؤرخ نحو ابراز الاخبار العجائبية لتهويل بشاعة الطاعون وفي هذا الصدد لتتبع ضحايا الطاعون يورد المؤرخ ابن شاهين في بداية شهر ذي الحجة لحوادث سنة (881هـ / 1476م) بلغت الوفيات المسجلة في ديوان الحسبة حوالي ثلاثة آلاف نفس، وفي هذه الفترة كان الطقس بارداً جداً وهذا غير معتاد كما شهدت المنطقة تفشي وباء في مثل هذه الأيام حيث كان يموت من الطاعون في مصر حوالي عشرة الاف (ابن اياس ،1982). ويتابع المؤرخ ابن تغري بردي في أحداث السنة عينها اذ ذكر ان الذي نضبط في هذا اليوم ممن صلي عليه باثنتي عشرة مصلاه هو أربعة آلاف إنسان وفي ذلك نظر لأن مصلاه باب النصر جاءت بخمسمائة وسبعين ومصلاة البياطرة أربعمائة وسبعين وجامع الأزهر ثلاثمائة وستة وتسعين فمجموع هذه المصليات الثلاثة ألف وأربعمائة وستة وثلاثون نفر، فكيف يكون جميع من مات في هذا اليوم أربعة آلاف (ابن تغري بردي،1949). فهذا محال لعل من كل مائة مريض يسلم واحد فأنكر ذلك غيره وقال ولا كل ألف مبالغة. وعلاوة على ذلك يذكر المؤرخ ابن اياس في احداث سنة (897هـ/ 1491م) ان انتشار الطاعون أدى إلى وفاة العديد من السكان وهجرهم لمنازلهم بشكل كبير حيث «أفادت دفاتر ديوان المواريث بحصر عدد الوفيات الناتجة عن الطاعون في مصر حيث فبلغ العدد أكثر من مائتين ألف إنسان، مع إشارة خاصة إلى أن هذا الرقم لا يشمل المعنيين الذين لم يدرجوا في السجلات» وقد تم الإبلاغ عن وفاة اثني عشر ألف، من سكان مصر والقاهرة والضواحي نتيجة الوباء (ابن اياس ،1982). يلاحظ المبالغة بالنص بأن المؤرخ أراد تهويل حدث الوفيات من خلال ذكره لهذا الرقم الذي يشير الى فناء كل سكان مصر مما يعكس مبالغة رقمية تتجاوز التقديرات السطحية، وجدير بالذكر في سياق تتبع اثار الطاعون يسترسل المؤرخ ابن اياس في نقل احداث سنة (919هـ / 1513م) اذ تفشى الطاعون بشكل مروع وزادت حالات الوفاة إلى ثلاثمائة وخمسة وستين نفسا في يوم واحد، مع تقديرات تشير إلى أن الوفيات اليومية قد تصل إلى ثلاثة آلاف نفس، وكان أكثر الضحايا جواري والعبيد والمماليك والأطفال (ابن اياس،1982). وإذا كانت اعداد الموتى التي اوردها ابن اياس تخلو من المبالغة فإن التحليل المنهجي يظهر كيف صنف العبيد والجواري ضمن الفئات الضعيفة التي كانت ضحية للطاعون وانهم تأثروا به كثيرا كحال الأطفال الصغار.

جدول رقم (2) التقديرات الإحصائية والمظاهر التاريخية المضافة للأوبئة والكوارث ومستوى التهويل فيها.

الكارثة	المؤرخ	التقدير الاحصائي	التحليل والنقد الكمي التهويل
طاعون سنة 748–749هـ	ابن تغري بردي	– 10,000الى 20,000حالة وفاة يوميا بالقاهرة ومصر. – موت جميع سكان انطاكية – تراجع سكان أسيوط من 6,000شخص الى 116 نفر.	التقدير الديموغرافي والنقد المنهجي يعكس ايراد (10,000الى 20,000وفاة يوميا) تضخما رقميا انطباعيا فمقارنته بإجمالي سكان القاهرة المقدر 600 ألف نسمة تعني فناء المدينة بالكامل خلال شهرين فقط كما يبين الادعاء بتراجع سكان أسيوط من 6,000الى 116 نفر اعتماد المؤرخ على الشائعات الشفاهية وتوقف دفاتر الحصر الرسمية إبان ذروة الفاجعة.
مجاعة وطاعون سنة 777هـ	المقدسي	ارتفاع سعر المكوك بحلب الى 1000 درهم اكل الميتات والقطط والكلاب وبيع الأبناء	يعكس ارتفاع سعر المكوك الى (1000درهم) واقعا اقتصاديا وتضخما حقيقيا بينما تعد عبارات اكل الميتات وبيع الأبناء صورا بلاغية انطباعية يتكرر استخدامها لدى المؤرخين للتعبير عن شدة الفاجعة دون ان تمثل حوادث محصورة إحصائيا.
غلاء الأسعار وتفاوتها سنة 797هـ	ابن الفرات	صعود سعر أردب القمح إلى 105 دراهم والشعير إلى 70 درهماً بالقاهرة.	تتميز ارقام ابن الفرات بكونها مؤشرات إحصائية مالية حقيقية وليست مبالغات انطباعية إذ يعكس الارتفاع الحاد في أسعار القمح والشعير مقارنة بمتوسط الأسعار الطبيعية في القاهرة التي كانت تدور عادة حول 20 –30درهما للأردب مما يثبت اعتماد المؤرخ هنا على أسعار الأسواق الفعلية والسجلات النقدية بدلا من الشائعات.
طاعون دمشق	المقريزي ابن	. تسجيل 50,000الف حالة وفاة في دمشق	تظهر ارقام الوفيات الواردة لدى المقريزي

وحلب سنة 825هـ – 844هـ	حجر العسقلاني	وغوطتها و70,000 وفاة بحلب مع ادعاء فراغ المدينة من سكانها	والعسقلاني تضخما واضحا مقارنة بالكتلة السكانية التقديرية لمدينتي دمشق وحلب في القرن 9هـ والتي ترجح الدراسات الديموغرافية الا تتجاوز 80 – 100 ألف نسمة لكل منهما مما يجعل تسجيل الاف الوفيات اليومية رقما يتجاوز الطاقة الاستيعابية للوفيات الاجمالية ويعزى هذا التهويل الى اعتماد المؤرخين على الشائعات بدل الاعتماد على السجلات الدفن الرسمية.

يلاحظ من خلال البيانات الواردة بجدول رقم (2) استمرار النزعة الواضحة في التهويل والتضخيم لدى المؤرخين ابن تغري بردي والعسقلاني والمقدسي سواء في المبالغة الرقمية لأعداد الوفيات او نقل المبالغات الخارقة والاثار الاقتصادية والاجتماعية بسبب اعتمادهم على الشائعات دون الاعتماد على الإحصاءات الرسمية

الخاتمة:

تأسيساً على ما تقدم من تتبع نقدي لروايات الأوبئة والمجاعات في العصر المملوكي، خَلُص البحث إلى أن أرقام الوفيات خضعت غالباً للتهويل والمبالغة لغياب التوثيق الرقمي الدقيق، حيث لعبت سيكولوجية الرعب وصدمة الفقد الدور الأكبر في تحويل الرقم من دلالة إحصائية إلى أداة تعبيرية. وهو ما أكدته نتائج التحليل الإحصائي في الجدولين (1 و2)؛ إذ شكل المنهج الكمي أداة صارمة لتفنيد الأرقام الخيالية واختبار القواعد الخلدونية. كما تبين أن التهويل حمل أبعاداً سياسية واجتماعية عكست مواقف المؤرخين من كفاءة السلطة واستدرار العطف. وبذلك يوصي البحث بإخضاع مرويات الكوارث للمنهج النقدي المقارن، وعدم التعاطي مع الأرقام بوصفها حقائق قطعية دون تدقيق سياقها النفسي والسياسي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا / المصادر الأولية:

ابن إياس، محمد بن أحمد. (١٩٨٤م). بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة)، ج ١.

ابن شاهين، عبد الباسط بن خليل الظاهري. (٢٠٠٢م). نيل الأمل في ذيل الدول. المكتبة العصرية، (بيروت)، ج ٦، ط ١.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم. (١٩٣٦م). تاريخ ابن الفرات. عني بتحريره ونشره: الدكتور قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكية، (بيروت)، ج ٩.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل. (١٩٩١م). الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. إعداد: حسين عاصي، دار الكتب العلمية، (بيروت)، ج ١، ط ١.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد. (1930م). تقويم البلدان. اعتنى بتصحيحه: رينود وديسلان، دار صادر (مصورة عن طبعة باريس ١٨٤٠م)، ج ١، ط ١.

الصيرفي، علي بن داود. (١٩٧٠م). نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان. تحقيق: د. حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، (القاهرة)، ج ٢.

العسقلاني، ابن حجر. (١٩٦٩م). إنباء الغمر بأبناء العمر. تحقيق: د. حسن حبشي، دار إحياء التراث العربي، (القاهرة)ج١.

العسقلاني، ابن حجر. (د.ت). بذل الماعون في فضل الطاعون. تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، (الرياض)، ج ١، ط ١.

ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي الأتابكي. (١٩٥٦م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة)، ج ١٠، ط ١.

القلقشندي، أحمد بن علي. (١٩٦٨م). كتاب صبح الأعشى. دار الكتب السلطانية، (القاهرة)، ج ٣، ط ٣.

ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر. (١٩٨٥م). الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين. دار الكتب، (القاهرة)، ج ١، ط ١.

المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي. (١٩٩٧م). السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت)، ج ٢، ط ١.

المنصوري، بيبرس. (١٩٩٨م). زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة. تحقيق: دونالد س. ريتشاردز، مطبعة مؤسسة حبيب درغام وأولاده، (بيروت)، ط ١.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. (2004م). نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق: الدكتور نجيب مصطفى فواز والدكتورة حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، (بيروت)، ج ٢٩.

اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد. (٢٠٠٧م). ذيل مرآة الزمان. (دراسة وتحقيق: د. حمزة أحمد عباس)، دار الكتب الوطنية – هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، (أبو ظبي)، ج ١، ط ١.

الحموي، ياقوت بن عبد الله. (١٩٧٧م). معجم البلدان. دار صادر، (بيروت)، ج ١، ط ١.

ثانيا / المراجع:

هينتس، والتر. (١٩٧٠م). المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري. ترجمة: كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، (عمان).

2- حايف، مالك مهدي. (2024). القضاة المقدسيين الوافدون إلى مصر وأثرهم في الحياة العامة في العصر المملوكي (648-923هـ / 1250-1517م). مجلة واسط للعلوم الإنسانية، 20(60)، 319-340.

قاسم عبده قاسم، (1993). عصر سلاطين المماليك: التاريخ السياسي والاجتماعي، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث والإنسانية). ج1، ط 1.

يوسف درويش غوانمة، (1983). الطاعون والجفاف وأثرهما على البيئة في جنوب الشام (الأردن وفلسطين) في العصر المملوكي، ج 1، ط 1.

List of Sources and References

First: Primary Sources

Ibn Iyas, Muhammad bin Ahmed. (1982). Badai al-Zuhur fi Waqai al-Duhur. Edited by: Muhammad Mustafa, Al-Hayah al-Misriyah al-Ammah lil-Kitab, (Cairo), vol. 1.

I bn Shahin, Abd al-Basit bin Khalil al-Zahiri. (2002). Nayl al-Amal fi Dhayl al-Duwal. Al-Maktabah al-Asriyyah, (Beirut), Vol. 1, 1st ed.

Ibn al-Furat, Nasir al-Din Muhammad bin Abd al-Rahim. (1936). Tarikh Ibn al-Furat. Edited and published by: Dr. Costi Zurayk, Al-Matbaah al-Amrikaniyah, (Beirut), vol. 1

Abu Shama, Shihab al-Din Abd al-Rahman bin Ismail. (1991). Kitab al-Rawdatayn fi Akhbar al-Dawlatayn al-Nuriyyah wa-al-Salahiyyah. Edited by: Husayn Asi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut), Vol. 1, 1st ed.

Abu al-Fida, Imad al-Din Ismail bin Muhammad. (n.d.). Taqwim al-Buldan. Corrected and edited by: Reinnaud and de Slane, Dar Sadir (Facsimile of the Paris 1840 AD-edition), (Beirut), Vol. 1, 1st ed.

Al-Sayrafi, Ali bin Dawud. (1970). Nuzhat al-Nufus wa-al-Abdan fi Tawarikh al-Zaman. Edited by: Dr. Hassan Habashi, Dar al-Kutub Press, (Cairo), Vol. 2

Al-Asqalani, Ibn Hajar. (1969). Inba al-Ghumr bi-Abna al-Umr. Edited by: Dr. Hassan Habashi, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, (Cairo)

Al-Asqalani, Ibn Hajar. (n.d.). Badhl al-Maun fi Fadl al-Taun. Edited by: Ahmad Isam Abd al-Qadir al-Katib, Dar al-Asimah, (Riyadh).

Ibn Taghri Birdi, Yusuf bin Taghri Birdi al-Atabaki. (1949). Al-Nujum al-Zahirah fi Muluk Misr wa-al-Qahirah. Dar al-Kutub al-Misriyyah Press, (Cairo), Vol. 10, 1st ed

10 - Al-Qalqashandi, Abu al-Abbas Ahmad. (1918). Kitab Subh al-A'sha. Dar al-Kutub al-Sultaniyyah, (Cairo), Vol. 3

Ibn Duqmaq, Ibrahim ibn Muhammad ibn Aydamur. (1985). Al-Jawhar al-Thamin fi Siyar al-Muluk wa-al-Salatin. Dar al-Kutub, (Cairo), Vol. 1, 1st ed

Al-Maqrizi, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Ali. (1997). Kitab al-Suluk li-Ma'rifat Duwal al-Muluk. Edited by: Muhammad Abd al-Qadir Ata, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut), Vol. 2, 1st ed

Al-Mansuri, Baybars. (1998). Zubdat al-Fikrah fi Tarikh al-Hijrah. Edited by: Donald S. Richards, Habib Dergham & Sons Press, (Beirut), 1st ed

Al-Nuwayri, Shihab al-Din Ahmad ibn Abd al-Wahhab. (n.d.). Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab. Edited by: Dr. Najib Mustafa Fawwaz and Dr. Hikmat Kashli Fawwaz, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut), Vol. 29

Al-Yunini, Qutb al-Din Musa ibn Muhammad. (2007). Dhayl Mirat al-Zaman. Study and edited by: Dr. Hamzah Ahmad Abbas, National Library - Abu Dhabi Authority for Culture & Heritage, (Abu Dhabi), Vol. 1, 1st ed

Yaqut al-Hamawi, Yaqut ibn Abd Allah. (1977). Mujam al-Buldan. Dar Sadir, (Beirut), Vol. 1, 1st ed

Second: References

Hinz, W. (1970). Islamic weights and measures and their equivalents in the metric system (K. Al-Asali, Trans.). University of Jordan Publications, (Amman)

Hayef, M. M. (2024). Jerusalemite Judges Migrating to Egypt and Their Impact on Public Life during the Mamluk Era (648-923 AH / 1250-1517 CE). Wasit Journal for Human Sciences, 20(60), 319-340

Qasim, Qasim Abdu (1993). The Era of the Mamluk Sultans: Political and Social History, (Cairo: Eye for Human and Research Studies)

Youssef Darwish Ghawanmeh, (1983). Plague and Drought and Their Impact on the Environment in Southern Levant (Jordan and Palestine) during the Mamluk Era, Vol. 1, 1st ed.